صهيوني معاملات سيئة للغاية، واضطهاداً لا يقل عن اضطهاد مسيحيي اوروبا للاشكناز. فالشاعر العبري الصهيوني بياليك، المولود في روسيا، أجاب عندما سُئل عن سبب مقته للعرب بقوله: «لأنهم يذكّرونني باليهود الشرقيين»(٢٣).

انه لمّا لا شك فيه ان اليهود في البلاد العربية، والاسلامية، قد عوملوا معاملة طيبة قبل ظهور الحركة الصهيونية. لقد ناقشت الباحثة ماريون ولفسون، في كتابها «انبياء بابل»، وضع اليهود في العالم العربي بوجه خاص، وكيف ان اليهود استطاعوا، عملياً، ان يزدهروا ويرفلوا بالرخاء ويشغلوا مكانة. وأوردت شواهد عديدة على ما قام به العملاء الصهيونيون، سواء أكان على شكل اتصالات شخصية أو عمليات ارهابية، لنشر الهلع بين اليهود، تطبيقاً لمخطط ما يسمّى «الصهيونية القاسية» وحملهم على النزوح الى اسرائيل(٢٤).

في المنظور الصهيوني، الغاية تبرر الوسيلة. ومن هذا المنطلق، عمدت الصهيونية الى شتّى الوسائل لحمل اليهود على الهجرة الى فلسطين لتحقيق هدفها. وليس صحيحاً ما تزعمه ان سعيها الى تهجير اليهود الى فلسطين انما كان لانقاذهم من الاضطهاد؛ ذلك ان الاضطهاد الاوروبي خفّت حدّته بعد الثورة الفرنسية، وزال اثره بعد زوال النازية. ومع ذلك، سعياً وراء هدفها لحمل اليهود الآمنين على الهجرة، قامت أجهزة مخابراتها بالقاء قنابل على كنيس شيم ـ توف في بغداد، العام ١٩٥٠، حيث اعتقلت الشرطة العراقية احد افراد شبكة المخابرات(٢٥). ولا يقل أهمية عمّا قامت به هذه الاجهزة في بغداد ما أقدمت عليه العام ١٩٤٠، حيث فجّرت سفينة باتريا التي كانت تقل ألفي مهاجر غير شرعي الى حيفا، لرفض سلطة الانتداب الاذن لهم بالنزول، ولالصاق تهمة التفجير بسلطة الانتداب البريطاني(٢٦).

امّا في اليمن، حيث كان اليهود غير مرتبطين بالصهيونية بشقيها، الهرتسلي والروحي، غرباء عن عالم اوروبا السياسي، والثقافي، لا يربطهم باليهود الّا الرباط الديني، فقد استغلت الصهيونية العاطفة الدينية عندهم، فأوفدت الصهيوني الاشتراكي وارشيفسكي متنكّراً الى اليمن تحت اسم الحاخام بافيينلي، مبشراً بالصهيونية، ومعلناً عن مجيء المسيح المنتظر(٢٧).

يتضح من هذا السياق لجوء الحركة الصهيونية الى مختلف الاساليب، والى خلق مختلف النظريات لتحقيق هدفها المتمثل في مصالح فئة معيّنة من البورجوازية اليهودية، اقتضت مصالحها سلوك مختلف السبل للوصول الى الهدف المنشود. أمّا الادعاءات بالاضطهاد الابدي لليهود في كل العالم، عبر كل مراحل التاريخ، فتزييف للحقيقة وللتاريخ. وما حدث في اوروبا من اضطهاد في مرحلة معيّنة من التاريخ، انما كان نتيجة لعوامل اقتصادية ـ اجتماعية في الغالب، وليس نتيجة دوافع لاسامية، كما تزعم الصهيونية. ومن المفارقات ان يقوم الصهيونيون بالتعاون مع مضطهديهم لتحقيق حلمهم، وان يمارسوا اضطهاد من أحسن اليهم.

العوامل الحقيقية لولادة الحركة الصهيونية

ما من شك في ان ثمّة مشكلة يهودية نشأت في اوروبا في سياق التطوّر التاريخي. لكن هذه المشكلة لم تنشأ لأن البشر، كل البشر، بطبيعتهم ومنذ ولادتهم، معادون للسامية، مع العلم ان اليهود في العالم، اليوم، لا يمكن اعتبارهم، عرقياً، متحدّرين من اصل سامي. انهم، في الواقع، اخلاط متمايزة من عروق مختلفة تدين باليهودية. ومعظم الدراسات الموضوعية التي أُصدرت تدحض